

الفصل الثاني

أثر البيئة في شعر ابن وكيع

أولاً: استعماله للألفاظ

يغلب على أسلوب ابن وكيع السهولة المطلقة، لدرجة الاقتراب من العامية، وهي صفة سائدة عند الكثير من شعراء مصر، وإن كانت السهولة المخلة عيباً عند بعض الشعراء، إلا أن ابن وكيع ليس منهم؛ لأن سهولته ليست مخلة، ومن الألفاظ العامية نجده استخدم لفظ (طارحاً بلحاً) في قوله:

أما ترى النخل طارحاً بلحاً جاء بشيراً بدولة الرطب

فلفظه (طارحاً) وما زالت تستعمل حتى اليوم على السنة العامة في مصر، وقوله عن البلح مقمعات الرءوس بالذهب، وكلمة (مقمعات) كلمة دارجة مصرية ما زالت تستعمل حتى الآن في مصر.

وقال في مزدوجة الفصول الأربعة عند حديثه عن فصل الشتاء:

حسبك أن تندس في اللحاف من خشية البرد على الأطراف

فلفظه (تندس) لفظة عامية شائعة الاستعمال على السنة العامة في مصر حتى اليوم، وإن كان أصلها فصيحاً.

* وهذا لا يقلل من قيمتها التعبيرية، لأن اختيار ابن وكيع للألفاظ يتناسب مع أفكاره ومعانيه، بحيث يضع اللفظة الملائمة في مكانها المناسب، وفي بيت آخر عن الشتاء يقول:

ورعدة تشغل عن كل عمل وتؤثر النوم وتستحلى الكسل

فلفظه (تستحلى) دارجة شائعة الاستعمال حتى الآن في مصر، وإن كان أصلها عربياً فصيحاً، وقد ذكرها في موضع آخر.

فقال:

لا ووعد الوصل باللحظ على رغم الرقيب
واختلاس القبلة الحلدوة من خسد الحبيب

فلفظة (الحلوة) لفظه دراجة مصرية ما زلنا نستعملها حتى اليوم، برغم أصلها الفصحى الذى ورد فى الحديث الشريف: ذاق حلوة الإيمان... إلخ. وقد كررها مرة أخرى حين قال:

قم فاسقنى النص مما حرموه فما أرى من العيش حلواً غير ما قيل حرمًا
وهناك ألفاظ قريبة من العامية بدرجة كبيرة، كقوله عن فصل الخريف وأثره على إقفار الأرض من الزرع:

يخشى على الأجسام من آفاته فأرضه قرعاء من نباته
فقوله: (قرعاء) لفظه دراجة ما زالت تستعمل حتى اليوم فى لغة العوام فى مصر مع إهمال نطق الهمة وقال:

أما ترى النخل حاملات بسرًا حكى لونه الشقيقا
وقال كذلك:

أما ترى البسر الذى قد حاز كل العجب

فكلمة (البسر) تستعمل حتى اليوم فى صعيد مصر بمعنى البلح الذى لم يكتمل نضجه، لكنهم ينطقوها بكسر الباء (البسر).

ومن الألفاظ الشائعة الاستخدام عند العوام كذلك قوله:

إن شئت أن تصبح بين الورى ما بين شتامٍ ومغستاب
فكن عبوسًا تلقاهم وخاطب الناس بإعراب

فقوله (شتام) لفظه ما زالت عند العوام حتى اليوم، برغم أصلها
الفصيح، كقول عترة فى معلته:

الشامى عرضى ولم أشتمهما والناذرين إذا لم ألقهما دمی

وقول زهير: ومن لا يتق الشتم يشتم

إذ قرأنا مربعتة التى يتغزل فيها بالغلام النصرانى (جرجس) نجده يقول:

معونة أرجو لها التنفيسا عن مهجة قاربت النيسا

فلفظه (التنفيس) رغم الفصيح إلا أنها تستعمل بكثرة فى اللغة الدارجة
فى مصر حتى اليوم، ويمكن أن نضيف إلى ذلك استعمال الشاعر للأعلام
المسيحية خلال ابتكاره الأسلوب الحجاج المنطقى، وهو مدخل طريف واخذه
من فكرة قديمة فى الأدب الجاهلى وصدر الإسلام، وهى (موت العاشق حباً
وولهاً بمحبوبه)، ومن الدرجات الكنسية أو القبطية فى مصر التى ذكرها فى
شعره (الشماسة) - القسيس - الأسقف - الرهبان - المطران - البطرك -
الحبر) كما ذكر من الكتب (الزبور والإنجيل) بالإضافة إلى ذكره لليهود.

ويمكن أن نضيف إلى ذلك قوله فى جواب دعوة إلى وجبة الرقاق التى
اقترحها الشاعر:

صيرته يا ذا العلا السنية شابورة ليست لها سمية

والشابورة (قربان من قرابين النصارى)

وقال عن الخمر:

لها جيوش من الملاهى اللهم قدامها الفرار

فكلمة (قدامها) شائعة الاستعمال فى عامية مصر.

ذكر الشاعر نهر النيل فى مقطوعة من كتاب " غرائب التنبهات على
عجائب التشهيات " لعلى بن ظافر الأزدي المصرى قال فيها:

قم يا غلام أدر على بسحرة كأسًا كطعم العيش بل هى أطيب
لا سيما والنيل يلمع فوقه بدر لوقت مغيبه متصوب
وكان صفح الماء درج أبيض فيه لضوء البدر سطر مذهب

ومن متعلقات نهر النيل ذكره لنوع من أسماك النيل يسمى سمك الراى
وفيه يقول:

بدا لنا الرأى الذى تلذع عيني منظره
فى قمص فضية أذيالها معصفرة
عوضى القالى بها غلائلا مزعفـره
وافى به فـمـارأتـه هـ العـين حتى لم نره

ثانياً، فكاهة الشاعر:

يتمتع شاعرنا ابن وكيع بروح الفكاهة والمرح، فهو شاعر ظريف، وهذه
الصمة واضحة فى ثنايا شعره، وقد عد بعض من كتبوا عن الظرفاء ابن المعتز
والحسن بن هانىء "أباو نواس" من الظرفاء، وهما من أهم أساتذة ابن وكيع .
يقول الدكتور شاكـر عبد الحميد فى كتابه " الفكاهة والضحك " :

أسهمت فئة من الظرفاء فى إثراء الأدب والشعر، وابتكار الصور وتوليد
المعانى واختراعها، ومنهم أبو نواس والحسين بن الضحاك وابن المعتز،
وغيرهم ممن امتاز أسلوبهم بالخفة والرشاقة والعدوبة والطرافة، فاشتهره

أشعارهم وعرفت بهم، باسمهم منسوبة إليهم، ولا سيما الغزل، فقيل:
"غزل الظرفاء" على سبيل الإعجاب والتقدير^(١).

- فقد كان معنى الظرف فى البداية كما أشار الوشاء يتعلق بالسلوك
المهذب الذى قال عنه: "ولن يكون الظريف ظريفًا حتى تجتمع فيه خصال
أربع: الفصاحة والبلاغة والعفة والنزاهة، وحيث لا يكون الظرف إلا فى
اللسان... يقال عن فلان: ظريف، أى بليغ جيد المنطق... ومنه حديث عمر
بن الخطاب رضى الله عنه: إذا كان اللص ظريفًا لم يقطع. أى: لأنه يكون
له لسان فيحتج به فيدفع عن نفسه"^(٢).

ورود عن محمد بن سيرين قوله: "الظرف مشتق من الفطنة"، وقال
غيره: "الظرف حسن الوجه والهيئة"^(٣).

هكذا كان معنى الظرف مرتبطًا بطلاقة الوجه واللسان والملبس والعقل
والعلاقات ونزاهة السلوك والأخلاق، وغير ذلك من المعانى التى تجمع بين
الأخلاق الحسنة والأمانة^(٤).

ويرى الباحث محمود الحنفى ذهنى فى رسالته عن ابن وكيع أن الشاعر
متهم فى دينه وفى سلوكه، فيقول: "ذكر خلكان عن ابن وكيع أنه ولد بتيس
وتوفى بها، ثم زاد على ذلك أنه بنيت له قبة دفن فيها، ولم يبين سبب بناء

(١) الفكاهة والضحك: رؤية جديدة - د/ شاكر عبد الحميد سلسلة عالم المعرفة رقم ٢٨٩
يناير ٢٠٠٣ م ص ٢٨٢.

(٢) الوشاء: أبو الطيب محمد بن اسحق بن يحيى ١٣٢٤ هـ الظرف والظرفاء بيروت عالم
الكتب ص ٣٣.

(٣) المصدر السابق ص ٣٣.

(٤) الفكاهة والضحك ص ٢٨٢.

هذه القبة له، وهذا يستحق وقفة متأملة؛ إذ لماذا بنيت له قبة دفن فيها؟
فالقباب عادة تبني لأولياء الله الصالحين، ولست أخال أحداً من أهل تنيس
يمكن أن يتعبه ولياً وهو المعروف عندهم بأنه شيخ الملاهي والغزل^(١).

وهو نفسه يعترف بهذا فيقول في وصف صحبه:

يكسد سوق الفتاة فيهم ظرفاً ولا يكسد الغلام
أثممة كلهم عليم بكل ما فعله أثم
لكنتى فيهم على ما وصفت من فضلهم إمام

هذا بالإضافة إلى خمرياته التي هي في جملتها انحراف عن الدين
كقوله:

قم فاسقنى النص مما حرموه ولا تعرض لما كثرت فيه الأقاويل
من قهوة عتقت في دنها حقباً كأنها في سواد الليل قنديل^(٢)
عروس كرم أتت تختال في حلل صفر على رأسها للمزج إكليل

- ونسى الباحث طبيعة أهل مصر التي حباهم الله بها، فهم يتمتعون
بروح الفكاهة والظرف ويميلون إلى المرح والسرور في كل عصورهم، وقد
ورد في كتاب "شاعر الدولة الفاطمية تميم بن المعز" قول ثيوكريتوس شاعر
الإسكندرية القديم: "إنهم شعب ماكر، لاذع القول، روحه مرحة". ويقول
جون ولسون: "إن الفلاح المصرى الأسبق - فلاح الأسرات الأولى - خفيف

(١) ابن وكيع التيسى شاعراً وناقداً - ماجستير للباحث محمود الحنفى ذهنى ١٩٥٣ م ص ٣.

(٢) إبراهيم الدسوقي - شاعر الدولة الفاطمية تميم بن المعز - دار النشر جامعة القاهرة ط

الروح، محب للسرور، وإنه بينما كان يؤدي أعماله كان يغنى ويضحك". ثم يتحدث في موضع آخر فيقول: "أما ما قلناه عن المصريين فإنهم قوم مرحون، يأخذون الأمور من ناحيتها الميسورة، وأنهم قوم مسحون للسرور، ليس إلا حقيقة يجب علينا أن نؤكدها... وربما كانت سرعة بديهتهم، وحبهم للنكتة هما خير ما يمثل لنا حسن دماثة أخلاق المصريين، التي صبغت الخلق المصري، وطبعته بطابعها القوي". ولا يزال المؤلف يردد هذه الفكرة، حتى يذكر أنهم توصلوا إلى استخدام الرسم الساخر بالكاريكاتير^(١).

وكان الشيخ تاج الدين الغزاوي يقول: "إن الحكماء وأهل التجارب ذكروا أن من أقام ببغداد سنة وجد في علمه زيادة، ومن أقام بالموصل سنة وجد في عقله زيادة، ومن أقام بمصر سنة وجد في أخلاقه رقة وحسناً^(٢)".

وتدل الشهادات السابقة والواقع على أن مصر بلد الفكاهة، وأن الفكاهة من السمات الشديدة الوضوح في خلق أهلها، بله الشعراء والأدباء منهم^(٣).

- وشاعرنا (ابن وكيع) شاعر ظريف يتمتع بروح الفكاهة والمرح، وهذه الصفة واضحة في ثنايا شعره، فلو سلمنا للباحث محمود الحنفى برأيه في انحراف ابن وكيع عن الدين بشربه للخمر، فلا يجب أن نسلم بأخذ كل ما تحت أيدينا من شعره هذا المأخذ؛ لأنه يقر بشرب الخمر، ولكنه قال شعره في الغلاميات على سبيل الفكاهة والظرف فحسب، بدليل قوله مثلاً:

يكسد سوق الفتاة فيهم ظرفاً ولا يكسد الغلام

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

فهو يذكر لفظة الظرف في هذا البيت صراحة، وقد كررها في مربعته
في التغزل بجرجس:

يا سيدى من دون ذا الميل التلف وشرط من كان ظريفاً فى القطف^(١)
وقوله:

كسطور كسين نقطاً وشكلاً من يدى كاتب ظريف البنان^(٢)

- وبذلك يكون لفظ الظرف قد تكرر ثلاث مرات فيما تحت أيدينا من
شعره، ولو فرضنا أنه لم يذكر لفظ الظروف سوى ثلاث مرات على مستى
شعره كله، لكان كافياً للدلالة على تعلق ذهن ابن وكيع بالظرف، خاصة إذا
علمنا أن العلماء ممن سبقوا ابن وكيع قد كتبوا عن الظرف والظرفاء، مثل
الوشاء (أبو الطيب بن إسحاق بن يحيى) وإذا ذكرنا الجاحظ ت ٢٥٥هـ،
نذكر على الفور كتب: البخلاء والحيوان والبيان والتبيين، ورسائل الجاحظ
وغير ذلك، مما ضم نوادر الظرفاء وأخبارهم، ولا يجب أن ننسى طبقات
الشعراء لابن المعتز، والعقد الفريد لابن عبد ربه، والأغانى للأصفهاني،
وغير ذلك من كتب التراث التى اهتمت بهذه الظاهرة، ورصدت حكاياتها
وإبداعاتها.

- ولا شك أن ابن وكيع قد قرأ الكثير من هذه الكتب التى سبقته، أو
التى كان مؤلفوها معاصرين له؛ لأن ابن وكيع شاعر "ناقد وله كاتب"
"المنصف" فى نقد المتنبي، الذى إن دل على شىء فإنما يدل على معرفة
واسعه، وإطلاع دءوب على التراث العربى وخاصة الشعر.

(١) القطف: كلمة مصحفة من القضب وهو المشى بتختر.

(٢) ادب مصر الإسلامية - وكيع التنيسى - شاعر الزهد والخمر ص ٤٧.

ومما يؤكد رأينا في غلاميات ابن وكيع، وأنها على سبيل الفكاهة والظرف فحسب قول الحق سبحانه وتعالى عن الشعراء في سورة الشعراء: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ صدق الله العظيم.

فقد أوضح الحق سبحانه وتعالى أن الشعراء يقولون ما لا يفعلون بنص الآية الكريمة.

وهناك من الشعراء من تصل بهم المبالغات إلى حد الإحالة أو المستحيل، ومبالغات المتنبي مشهورة، وهو من المعاصرين لابن وكيع، كقوله مثلا:

كفى بجسمى نحولاً أننى رجل	لولا مخاطبتى إياك لم ترنى
سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا	بأننى خير من تسمى به قدم
أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى	وأسمعت كلماتى من به صمم ^(١)
أى محل أرتقى وأى عظيم أتقى	وكل ما خلق الله وما لم يخلق
محترق فى همتى كسفرة فى مفرقى	

ومن المقطوعات النسوية لابن وكيع فى رسالة الماجستير للباحث محمود الحنفى ذهنى مقطوعة لم يثبتها أستاذنا الدكتور حسين نصار، ينفى فيها ابن وكيع عن نفسه الزنا، وربما لم يثبتها أستاذنا حسين نصار لفحش بعض ألفاظها، ويؤكد ذلك بقوله: لا تفعلنى فلست بزانى

(١) ديوان المتنبي ج ٢ ص ٨٢ - دار الكتاب العربى - تحقيق وشرح عبد الرحمن الدسوقى - بيروت - لبنان ١٤٠٠ هـ، ١٩٨٠ م.

ويقول ابن وكيع:

بت ضيفًا لسيد يمى
وأنت عرسه تغازل أبرى
ولو أنى فعلت ما كنت ممن
فأتانى وقال نكها بعيش
قلت زدت فى الضيافة معنى
قال من أجل ذلك طار لى اسم
فمتى يدعى مع اسمى ضيوف
والجود قدمًا يقال عنه يمانى
قلت لا تفعلنى فلست بزانى
يتصدى لنسوة الأخوان
فهى موقوفة على الضيفان
ما عرفناه فى قديم الزمان
وآلح الضيوف فى غشيانى
قيل مرعى وليس كالسعدان^(١)

- فهو هنا يجعل من (الديوث) صورة مضحكة للمتلقى، والأبيات الأولى والخامس والسادس من قبيل (الهجاء فى معرض المدح)، والبيت الأخير من قبيل (التشبيه بالتلميذ)، وهو اصطلاح بلاغى معناه أن يشير الشاعر إلى قصة مشهورة أو مثل أو نكتة، كتمثيل يزيد به المعنى ملاحظة، وقوله:

ولو أنى فعلت ما كنت ممن يتصدى لنسوة الأخوان

فهو شديد الحذر والحرص خوفًا من أن يصفه أحد بأنه يتصدى لنسوة الإخوان، والمقطوعة كما هو واضح مصنوعة على سبيل الفكاهة والظرف؛ لأنها تثير ضحك المتلقى برسم صورة ساخرة للديوث، وهى من مضحكات الطباع، وتدل على عدم التلاؤم مع المجتمع ولذلك يمكن القول بأن اقترانه بأبى نواس ليس لمجرد ذكر الخمر؛ بل لأن الاتجاه واحد؛ من حيث شيوخ

(١) رسالة ماجستير للباحث محمود الحنفى ذمنى ١٩٥٣ م ج ٢ الملحق بالرسالة ص ٢٣

روح الفكاهة والظرف عند كليهما، حيث نجد أخبار الحسن بن هانئ (أبا نواس) منتشرة في كتب الأدب القديمة مثل العقد الفريد، وحبلة الكيت والأغاني والبيان والتبيين وعيون الأخبار وسائر كتب التراث العربي، ويقول ابن وكيع:

إن شئت أن تصبح بين الورى ما بين شتامٍ ومغتابٍ
فكن عبوسًا حين تلقاهم وخاطب الناس بإعراب

فهذان البيتان يوضحان حرص الشاعر على أن يكون حفيف الظل لدى الناس؛ ليكون نموذجًا للمصرى الأصيل المعرف بحرصه على الفكاهة والظرف في كل العصور كما سبق أن أوضحنا.

وتمثلت الفكاهة في مقطوعات أخرى، مما بقى تحت أيدينا من شعره، وهي مقطوعات تثير ضحك المتلقى، سواء كان سامعًا أو قارئًا، ومن هذه المقطوعات قوله:

يجمل البخل بالملاح وإن كا ن بغير الملاح غير جميل
كل من سره حبيب جواد فلتطب نفسه بقرنٍ طويل

وهذا يسمى في اصطلاح البلاغيين بـ (التهكم) وأصلها التهدم، فهو يوعد بالبشارة لتهاونة بالمخاطب، فالشاعر هنا يفاجئ المتلقى بما لا يتوقعه، وهو بذلك يثير ضحكه؛ لأنه يمهد بكلام مقنع، وينهيه إنهاء مفاجئ أو مفرغًا، فلا يملك المتلقى نفسه فيستسلم للضحك؛ لأنه عندما يقول مثلاً "فلتطب نفسه" فإن أذن المتلقى ونفسه ترتاح لطيب النفس عموماً، لكنه يفاجأ بقوله بعدها مباشرة "بقرن طويل" كناية عن القيادة والديث"، وهذه المفارقة المفاجئة تبعث على الضحك، وسمى ذلك اصطلاحاً "التهكم" عند

البلاغيين المتأخرين، وهو اصطلاح " بلاغى يعنى مفاجأة الشاعر للمتلقى بما لا يتوقع، وهو موجود فى اساليب القرآن الكريم كقوله تعالى " ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾، وقوله تعالى: ﴿فأمة هاوية﴾. فهنا يتدئ الحق سبحانه وتعالى الآية ابتداء ساراً، ثم ينهيها إنهاء مفزعاً مروعاً؛ فالبشارة فى الآية تعنى تلقى خبر مفرح، لكن ما إن تطمئن نفس المتلقى لذلك حتى يقول عجز الآية ﴿بعذاب أليم﴾، والآية الثانية بيتديها باسم الأم الذى يثير فى النفس معانى الرحمة والعطف والحنان، ثم يختمها بلفظة "هاوية"، أى: حفرة سحيقة من النار والعياذ بالله، وكذلك قوله تعالى: ﴿بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً﴾ النساء ٤ / ١٣٨، وينطلق كلامنا على قوله عن أصحابه وعن نفسه.

أُمَّةٌ كُلِّهِمْ عَلِيمٌ بِكُلِّ مَا فَعَلَهُ آثَامٌ

لَكِنِّى فِىهِمْ عَلَى مَا وَصَفْتِ مِنْ فَضْلِهِمْ إِمَامٌ

لأنه يستدرك بقوله " لكننى " فيتوقع المتلقى أنه سوف يعل عن نفسه عنهم، لكنه يفاجأ بقوله "إمام"، أى أنه فيهم إمام. المفاجأة الأخرى فى البيتين نجدها فى التمهيد فى البيت الأول بأنهم كلهم عليم بكل ما فعله آثام، ثم يفاجئنا ابن وكيع بقوله فى الجملة الاعتراضية: على ما وصفت من فضلهم؛ لأنه لم يصفهم بالفضل، وهى مقابلة ساخرة تدفع المتلقى إلى الضحك. ونجد هذا ينطبق كذلك على ما ورد فى البيت القائل:

أئمة كلهم عليم بكل ما فعله آثام

فذكره للأئمة والعلم يعتبر بداية أو مدخلا يتناول هذه المعانى الجليلة، لكن المتلقى يفاجأ بقوله "بكل ما فعله آثام" فهو تمهيد مستنع وإنهاء مفاجع، فتحدث المفارقة، فيضحك المتلقى وهذا كله داخل فى (التهكم).

وقوله كذلك فى إحدى مقطوعاته فى التغزل بالغلام جرجس :

يا جامع الحسن كل حسن للناس من شرطك اختصار

ما فضل الغانيات عندي عليك إلا امرؤ حمار

- نلاحظ استخدام الشاعر للتهمك فى قوله " امرؤ حمار " ، والمقارنة واضحة فى قوله " امرؤ " ، ثم قوله بعدها مباشرة " حمار " مما يثير ضحك المتلقى .

- وهناك مقطوعات ساخرة يرسم فيها الشاعر صورة لشخصية تتسم بالبخل ، وأخرى تتسم بالتهالك على جمع المال ، فهو يقول فى بخيل :

يا جامعاً زهو الملو ك ولؤم أخلاق التجار

ارجع إلى الفقر القديم فم فقد فسدت على اليسار

وخطرت فى سكر الغنى وأمنت عاقبة الخمار

أبدت وجهاً للعفاة مقنعا بقناع عار

لو أنه لقى الحجارة الصم أثر على الحجار

أو كان ترس محارب لارتد عنه ذو الفقار

ويقول أيضا :

لئيم لا يزال يلم وفرأ لوارثة فينفع عن حماه

ككلب الصيد يمسك وهو طاو فريسته ليأكلها سواه

وقوله عن ثقيل :

ما السقم فى سفرة والدين مع عدم يوماً بأثقل منه حين يلقاني

ما لى عليه معين حين أبصره غير الصدود وتغميض لأجفان

وهذه الصور تدخل في الطباع المضحكة، وهي حالات تدل على عدم تلاؤم تلك الطباع مع المجتمع، وقوله:

أقبل والعذاب يلحونني فكلهم قال من البدر
فقلت ذا من طال في حبه منكم لى التعنيف والزجر
قالوا جهلنا فاغترف جهلنا فليس عن ذا لامرئ صبر
عذرك في الحب له واضح وما لنا فى لومنا عذر

ومرد النكتة هنا هو خلل القياس المنطقي بإهدار إحدى مقدماته أو تزييفها أو وصلها بحكم التورية ونحوها، مما لا تصل به فى حكم المنطق المستقيم، فتخرج النتيجة على غير ما يؤدى إليه العقل لو استقامت مقدمات القياس^(١).

وكبرى فكاهاته تتمثل فى قصيدة مربعة فى التغزل بـغلام نصرانى اسمه جرجس، وهى تدل على طول نفسه فى الشعر فضلاً عما تحويه من فكاهة واستخدام الحجاج المنطقي وطرافة الفكرة.

وإذا رجعنا إلى قول الوشاء: ولن يكون الظريف ظريفاً حتى تجتمع فيه خصال أربع: الفصاحة والبلاغة والعفة والنزاهة، وحيث لا يكون الظرف إلا فى اللسان.

وحاولنا تطبيق ذلك على شعر ابن وكيع، خاصة من حيث العفة، فإننا نجد بعض النصوص أو المقطوعات القليلة جداً من النوع الذى يمكن اعتباره من الغزل العفيف، كقوله:

(١) جحا الضاحك المضحك - عباس محمود العقاد، نقلاً عن مقدمة كتاب فى المرأة لعبد العزيزى البشرى - مكتبة الأسرة ٢٠٠٠ م - الهيئة العامة للكتاب ص ٣١.

يا من إذا لاح محاسن وجهه غفرت بدائعها جميع ذنوبه
 النجم يعلم أن عيني في الدجى معقودةً بطلوعه وغروبه
 إن كان في تعذيب قلبي راحة لك فاجتهد بالله في تعذيبه
 لو كان سفك دمي إليك محببًا لرأيتني متضرجًا بصيبه

ويمكننا فهم غزل ابن وكيع من خلال إدراكنا لتوجه الشاعر نفسه للفكاهة والظرف؛ حيث لا يكون الظرف إلا في اللسان، كما ذكر الوشاء في كتابه (الموشى في الظرف والظرفاء)، وبالإضافة إلى ابن وكيع كان لا يملك لسانه من الخروج عند حد الأدب، والمساس بحرمة الدين سواء كان في حالة سكر، أو في سياق مجون، فقد قال مثلاً:

متنصر قويت على إسلامنا بالحسن منه حجة الكفر
 قالوا أيصنع مثل هذا ربكم ويرى فساد صنيعه بالنار

ويدعم ذلك قول الحق سبحانه وتعالى عن الشعراء في الآية ٦٦ من سورة الشعراء: ﴿وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾ وابن وكيع داخل في نطاق الآية كغيره من الشعراء، وقد تكلم النقاد القدماء عن قضية الصدق والكذب في الشعر بما يدعم ذلك من أمثال (أحمد بن طاطبا العلوى وقدامة بن جعفر وحازم القرطاجنى وغيرهم) من النقاد، وقد انتهى بعضهم إلى إدخال ما كان يسمى كذباً في الشعر إلى ما يسمى التخييل الشعرى، ورفض النقاد المحدثون الحكم على شعر شاعر ما عن خلال الدين أو الأخلاق؛ لأن الدين موضوع خارج نطاق الشعر وكذلك الأخلاق، وأقروا فهم الشعر من خلال المقاييس والتقنيات الخاصة بالشعر، كفن مستقل بذاته بعيداً عن الموضوعات الخارجة

عن طبيعة كالدين والأخلاق والمنطق وغير ذلك من سائر العلوم الأخرى،
والتخييل عند حازم يعنى أن الشعر عملية تخيلية تتم فى رعاية العقل.

وقد يقول قائل: من أين أتى ابن وكيع بالفكاهة والظرف وخفة الروح،
وهو من بنى ضربة أصلاً من أرض اليمامة؟ ويرد على ذلك صاحب كتاب
النكتة المصرية بقوله: "إن الذين يسكنون مصر من الغرباء والأجانب يتطبعون
بطابع أهل مصر، فتخف روحهم ويتعودون النكتة، وإنك لتسمعها هناك من
اليوناني والإيطالي والتركي" (١).

ثالثاً: تأثر (ابن وكيع) بالتراث:

أ) الاقتباس من القرآن الكريم:

تتغير المفاهيم والمصطلحات النقدية بمرور الزمن تبعاً لتطور النقد الأدبي،
وعلى سبيل المثال اصطلح النقاد القدماء على أخذ شاعر عن شاعر سابق له
زمنًا بـ (السرققات الشعرية)، ومن ذلك أخذ سلم الخاسر تلميذ بشار بن برد
قول بشار:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج
وصاغه من جديد بقوله:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز باللذة الجسور

فاعتبرها بشار سرقة شعرية، برغم استخدام سلم للفظه واحدة بدلاً من
لفظتين، فقد استبدل (الفاتك اللهج) بلفظة الجسور، كما استبدل (الطيبات)

(١) إبراهيم الدسوقي جاد الرب - تميم ابن المعز شاعر الدولة الفاطمية - مركز النشر جامعة
القاهرة ١٩٩١ م - ص ٢٠٠.

مجاز حقيقتها فاغتمروا ولا تعمروا هونوها نهن
 ما حسن بيت له زخرف تراه إذا زلزلت لم يكن^(١)
 وبالنظر إلى ما بين أيدينا مما تبقى من شعر ابن وكيع نراه متأثراً بالقرآن
 الكريم مستخدماً ألفاظاً وتعبيرات قرآنية، ومنها قوله:

فصل من الدهر إذا قيل حضر أذكرنا بحره نار سقر

فقد وردت لفظه (سقر) في قوله تعالى: ﴿... ذُوقُوا مِنْ سَقَرٍ ۖ﴾ [القمر].

وفي قوله تعالى: ﴿سَأْصَلِيهِ سَقَرَ ۖ﴾ [المدثر].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ۖ﴾ [المدثر].

وقوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ۖ﴾ [المدثر].

ويقول ابن وكيع:

فتحت النار له أبوابها وشب فيها مالك شهابها

فقد وردت لفظة (أبوابها) في قوله تعالى:

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا ...﴾ [الزمر].
 ففيها لفظته: ﴿فُتِحَتْ﴾ ولفظة ﴿أَبْوَابُهَا﴾.

أما لفظة (مالك) فقد وردت في قوله تعالى: ﴿وَنَادُوا يَا مَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ﴾ [الزخرف].

ويقول ابن وكيع في حديثه عن فصل الصيف، وتأثر الناس به

(١) المصدر السابق ص ١١٣.

شأربه يكرع فى حميم كأنه من ساكنى الجحيم

فقد وردت لفظه (حميم) فى قوله تعالى :

﴿... لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [٧٠] ﴿[الأنعام].

أما لفظه الجحيم فقد وردت خمساً وعشرين مرة، منها قوله تعالى :
﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ﴾ [١٢] ﴿[التكوير]، وقوله تعالى : ﴿... وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ [١١٩] ﴿[البقرة]، أما لفظه (يكرع) فهى ترادف لفظه يجرع أو (يتجرع) التى وردت فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ...﴾ [١٧] ﴿[إبراهيم].

فمن المعروف أنه إذا اتفقت كلمتان فى كل الحروف عدا حرف واحد فإن المعنى يكون واحداً، مثل رجل خبيث وتقال (النيث)^(١) كقول أبى العلاء المعرى :

أرانى فى الثلاثة من سجونى فلا تسأل عن الخبر النيث
لفقدى ناظرى ولزوم بيتى وكون النفس فى الجسم الخبيث
وقول ابن المعتز :

ظبى يرى طرفه فيرجمه وهو سوى ذاك ليث عريس

عريس أى عرين الأسد، ويقال : خاس النخل أى خاب، ويقال أيضاً احتفال واحتفاء وقال ابن وكيع عن الساقى أو الساقية التى تقدم الخمر له ولأصحابه .

(١) النيث : الخبيث الذى يتبع عيوب الناس وهى من النيث أى النيش أى محفور (المعجم الوسيط).

من كف ظبي من بنى النصرارى ألبابنا فى حسنه حيارى
 إذا بدا جماله لدى النظر قال تعالى الله ما هذا بشر
 (النصارى) هم الذين ناصروا المسيح عيسى ابن مريم عليه وعلى نبينا
 الصلاة والسلام، وربما تكون نسبة إلى (الناصره) بفلسطين، وقد وردت هذه
 اللفظة فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ
 وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ...﴾ (١١٣) [البقرة]، وقوله تعالى فى
 السورة نفسها: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ...﴾ (١١١) [البقرة]
 [البقرة]، وقوله تعالى فى السورة نفسها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ
 وَالصَّابِئِينَ...﴾ (٦٢) [البقرة].

أما الشطرة الصانية من البيت الثانى لابن وكيع القائل:

إذا بدا جماله لدى النظر قال تعالى الله ما هذا بشر

فقد ورد فى سورة يوسف قوله تعالى: ﴿... وَقُلْنَا حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ
 هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ (١٣١) [يوسف].

وقال:

مـزـنـر شـكـنـى فى دـيـنـه حتى أحلت الكفر فىمن قد كفر
 لأنه كالـحـور فى تصـويـره والحور لا يسكنها الله سقر

وردت لفظه (الحور) فى قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ (٥٤) [الدخان].

وقوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ (٢٢) كأمثال اللؤلؤ المكنون (٢٣) [الواقعة].

وقوله تعالى: ﴿... وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ (٢٠) [الطور].

وقوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ (١٧٢) ﴿[الرحمن].

وقال ابن وكيع:

يا لك منه منظرًا أشهى إلى قلبي من جنة عدن أو أسر

فقد ورد في التعبير (جنة عدن) في القرآن الكريم على صورة الجمع،

كقوله تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ ...

﴿[النحل].

وقوله تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ...

﴿[فاطر].

وقال ابن وكيع في نحوى معاصر له:

يحسن النحو في الخطابة والشعر وفي لفظ سورة وكتاب

فإذا ما تجاوز النحو هذى فهو شيء من المسامع ناب

ولفظ (سورة) ورد في قوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا ... ﴿[النور].

وقد وردت عشر مرات في كتاب الله تعالى.

ولفظ (كتاب) ورد في قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَّارِكٌ فَاتَّبِعُوهُ ...

﴿[الأنعام].

وقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ ... ﴿[الأعراف].

﴿[الأعراف].

وقد ورد لفظ (الكتاب، كتاب) مائتين وست وخمسين مرة في القرآن

الكريم.

وقال ابن وكيع :

قم فاسقنى والخليج مضطرب والريح ثنى ذوائب القضب
كأنها والرياح تعطفها صف قنا سندسية العذب

وردت لفظة الرياح كقوله تعالى : ﴿ ... وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ
بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ... ﴾ (١٦٤) [البقرة].

ولفظة الريح فى قوله تعالى : ﴿ ... حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينِ بِهِم بِرِيحٍ
طَيِّبَةٍ ... ﴾ (٢٢) [يونس].

وردت لفظة سندس فى قوله تعالى : ﴿ ... وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ
وَإِسْتَبْرَقٍ ... ﴾ (٣١) [الكهف].

وقوله تعالى : ﴿ ... يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ (٥٤) [الدخان].

وقوله تعالى : ﴿ ... عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ... ﴾ (٢١) [الإنسان].

وقال ابن وكيع :

بيت من الحسن لى إليه حج مسدى الدهر واعتمار
زيارة البيت كل عام ودهر ذا كله يزار

نراه متأثراً بقوله تعالى : ﴿ ... وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ... ﴾ (١٩٦) [البقرة].

وقوله تعالى : ﴿ ... وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتِطَاعٍ إِلَيْهِ سَبِيلًا ... ﴾ (٩٧) [آل عمران].

[آل عمران].

وقوله تعالى : ﴿ ... فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ ... ﴾ (١٥٨) [البقرة].

أما قوله : زمن أغر فلو شربت بطييه طيب الجنان لكان أربح متجر

فقد جمعت جنة في القرآن على جنات، وليس على جنان كما ورد في شعره.

(ب) التناص في شعرا بن وكيع:

تمثل الإشكالية التي يطرحها مفهوم التناص في مسألتين اثنتين، تتصلان مع بعضهما البعض اتصالاً وثيقاً، وتحدد المسألة الأولى بتعدد التعريفات والمفاهيم التي قدمت لهذا المصطلح في مصادره الأولى، والناجمة عن الاختلاف في طبيعة الفهم الذي يمتلكه أصحاب هذه النظرية عن النص، في حين أن المسألة الثانية تكمن في تعدد المصطلحات، وغياب الضبط المنهجي المتكامل والواضح لأسباب تتصل بتعدد الاتجاهات والمساهمات النقدية الأخرى كالبنوية والنفسية وغيرهما، بحيث أدى كل هذا إلى عدم وضوح الحدود الفاصلة والتحديات التي قدمت للمفاهيم والمقولات والأنماط التي تشكل الأساس الذي قامت عليه نظرية التناص في مدوناتها المختلفة^(١).

ولعل المشكلة الأساسية تتحدد في نقل المصطلح النقدي وتحديد معناه ودلالته، فقد نجد للمصطلح أو المفهوم أسماء وتعريفات كثيرة، تختلف باختلاف المترجم وخلفيته المعرفية وفهمه للمصطلح أو المفهوم، لقد ظهر مصطلح التناص عام ١٩٦٦ م على يد جوليا كريستيفا في دراستها عن دويستوفسكي ودابلو، وكان أول من أشار إليه هو شكوفسكي، عندما ربط بين فهم العمل الفني وعلاقته بالأعمال الفنية الأخرى استناداً إلى الترابطات القائمة فيما بينهما. ولكن الأصول الأولى تعود إلى الناقد الروسي باختين الذي أسس له نظرياً في كتابه [شعرية دويستوفسكي] ودعاه بالحوارية، حتى

(١) مجلة آفاق أدبية العدد ٥٥ - مقالة بقلم مفيد نجم ص ١ - ٣.

جاءت كريستيفا وصاغته بشكل متطور وجديد، وقد التقى حول هذا المفهوم فيما بعد عدد من النقاد الغربيين أمثال رولان بارت، فيليب سولرس وهاريلوم وآخرين. إن مشكلة التعريف بهذا المصطلح وتعدد دلالاته ومفاهيمه في النقد العربى والدراسات النقدية تكمن فى أن أغلب الترجمات التى قدمت حتى الآن هى ترجمات وتلخيص لدراسات متفرقة لبعض أصحاب هذه النظرية، ولا تزال الترجمات المتكاملة لأصول الكتب والأبحاث التى قدمت فى اللغات الأوربية محدودة، ولذلك فإن هذه الترجمات لا تشكل قاعدة معرفية غنية للتعريف بالقضايا والفاهيم والإشكالات والاتجاهات المختلفة التى اشتمل عليها تاريخ هذا المصطلح، واتخذ صياغاته المتباينة، ومع العلم أن مؤسسة هذه النظرية قد تراجعت عنها فى عام ١٩٤٨ م، ويلغى مفهوم التناص الحدود بين الأدب والفنون الأخرى، ويجعلها مفتوحة على بعضها البعض، كما أن التناص ينقسم إلى نوعين أساسيين هما التناص الظاهر، ويدخل ضمنه الاقتباس والتضمن، وتسمى أيضاً الاقتباس الواعى أو الشعورى؛ لأن المؤلف يكون واعياً به، فى حين أن التناص الثانى هو التناص اللاشعورى، أو تناص الخفاء وفيه يكون المؤلف غير واع بحضور النص أو النصوص الأخرى فى نصه الذى يكتبه، ويقوم هذا التناص بالامتصاص والتحويل والتذويب والتفاعل النصى، والحقيقة أن هناك نوعين آخرين من التناص هما:

١ - التناص الداخلى المتمثل فى إعادة الشاعر أو الكتاب لإنتاجه

السابق.

٢ - التناص الخارجى الحاصل من التقاء وتقاطع النص مع نصوص

أخرى غير نصوص الكاتب أو الشاعر.

ومن النوع الأول قول ابن وكيع:

كأنها تحته كميت عليه من فضة لجام
كأنها تحته كميت عليه من فضة عذار
عروس كرم أنت تختال في حلل صفر على رأسها تاج من الحبيب

وقوله:

عروس كرم أنت تختال في حلل صفر على رأسها للمزج إكليل

ومن النوع الثاني ما ورد في شعره متأثراً فيه بالشعراء السابقين .

وبالنظر إلى ما تحت أيدينا من شعر ابن وكيع نجد قوله :-

ألست ترى وشى الربيع المنمنما وما رصع الربيع فيه ونظما
فقد حكى الأرض السماء بنورها فلم أدر في التشبيه أيهما السما
فخضرتها كالجو في حسن لونه وأنوارها تحكى لعينك أنجما^(١)

ويبدو تأثره بما نظمه البحترى في الربيع واضحاً من قصيدة يمدح فيه

الهيثم بن عثمان الغنوفى ٣٣ بيتاً ومطلعها:

أتاك الربيع الطلق يخال ضاحكاً من الحسن حتى كاد أن يتكلما
وقد نبه النوروز في غلس الدجى أوائل ورد كن بالأمس نوما
يفتقها برد الندى فكأنه ييث حديثاً كان أمس مكتما
ومن شجر رد الربيع لباسه عليه كما نشرت وشيا منمنما
ورق نسيم الريح حتى حسبته يجيء بأنفاس الأحبة نوما

(١) ابن وكيع شاعر الزهر والخمر ص ٩٢ .

فما يحبس الراح التي أنت خلها وما يمنع الأوتار أن تترنما
وما زلت شمسًا للندامى إذ انتشوا وراحوا بدوراً يستحثون أنجماً^(١)

والتأثر واضح؛ لأن الموضوع واحد والقافية واحدة وقصيدة البحترى مشهورة جداً وسابقة لشعر ابن وكيع، حتى أنه استخدم الكثير من ألفاظها مثل (الربيع - الوشى - المنمم - أنجما . . . إلخ).

ومن تشابه القافية في القصيدتين نجد البحترى يقول فى أبياتها وهو البيت الرابع بالذات.

ويوم تلاقى فى فراق شهادته بعين إذا نهنتها دمعت دما
ويقول ابن وكيع فى النرجس:

وأبدى على الورد الجنى تطاولا فأظهر غيظ الورد فى خده دما
يقول البحترى عن الهيثم بن عثمان ممدوحه فى البيت رقم ١٢ من القصيدة:

هو الموت ويل منه لا تلق حده فموتك أن تلقاه فى النقع معلماً
يقول ابن وكيع فى السوس:

تجللبت من رزق اليواقيت خلة فأغرب فى الملبوس منه وأعلما
ويقول البحترى فى البيت رقم ٢٠ من القصيدة:

إذ معشر جاوروك فى إثر سوّدد تأخر من مسعاتهم ما تقدما^(٢)

(١) ديوان البحترى المجلد الرابع دار المعارف سلسلة ذخائر العرب رقم ٣٤. شرح وتحقيق

حسن كامل الصيرفى ص ٢٠٨٩ - ٢٠٩٢.

(٢) ديوان البحترى ص ٢٠٨٩ دار المعارف.

ويقول ابن وكيع :

وزهر شقيق نازع الورد فضله فزاد عليه الورد فضلاً وقدما^(١)

ويقول البحترى من القصيدة نفسها (البيت رقم ٢٩)

متحدثاً عن الربيع :

أحل فأبدى للعيون بشاشة وكان قذى للعين إذ كان محرماً

ويقول ابن وكيع :

قم فاسقنى النص مما حرموه فما أرى من العيش حلواً غير ما قيل حرماً

وبهذا يبدو أن التشابه واضح كل الوضوح من خلال القافية في

القصيدتين، وكذلك من خلال استخدام نفس الألفاظ أو ما يشتق منها

والقصيدتان تتناولان الربيع، وإن كان البحترى يتحدث عن الربيع من خلال

قصيدة المدح، وابن وكيع يتحدث عن الربيع من خلال الوصف وقال ابن

وكيع :

بيت من الحسن لى إليه حج مدى الدهر واعتمار

زيارة البيت كل عام ودهر ذا كله يزار

وأراه متأثراً فى هذين البيتين بقول ابن المعتمر :

كأن أرواح أهل العشق سائرة إلى جمالك بالتقريب والعنق

تؤم كعبة حسن خالها حجر فى الخد أسوده فى أبيض يقق^(٢)

(١) ابن وكيع التنيسى شاعر الزهر والخمر ص ٩٢ .

(٢) واليقق الأبيض الناصع

وقال ابن وكيع:

وخشخاش كأننا منه نفرى
كأقداح من البلور صيغت
قميمص زبرجد عن جسم در
بأغشية من الدياج خضر

وقال ابن المعتز:

وفرش الخشخاش جيياً وفتق
حتى إذا ما انتشرت أوراقه
كأنه مصاحف بيض الورق
وكاد أن يرى إلينا ساقه
صار كأقداح من البلور
كأنما تجسمت من نور^(١)

والتشبيه يكاد يكون واحداً، والتأثر بابن المعتز واضح، وقد وجدت بعض المقطوعات المنسوبة لابن وكيع منسوبة لغيره، ومنها المقطوعة التي يقول فيها:

غدير يجعد أمواهه هبوب الرياح ومر الصبا
إذا الشمس من فوقه أشرفت توهمته جوشنا مذهباً

وقد بين أستاذنا الأستاذ الدكتور حسين نصار مصادرها وهي

١ - حلبة الكميت ص ١٣٣ وفيها يقول: (غدير ترجرج أمواجه) بدلا من (غدير يجعد أمواهه).

٢ - حسن المحاضرة للسيوطي ٣ - ٢٧٧.

٣ - الرسالة المصرية لابن الصلت ٣٢ (غدير يدرج أمواجه) لكنى وجدت الأبيات نفسها في ديوان ابن العتر العباسي كالآتي:

(١) ديوان ابن المعتز/ مطبعة الإقبال - بيروت ص ٣٠٧ شرح وتحقيق محيي الدين الخياط

١٣١٣ هـ

غدير ترجرج أمواهه هبوب الرياح ومر الصبا
إذا الشمس من فوقه أشرفت توهمته جوشنا مذهباً (١)

وهذا الديوان طبع بمناظرة والتزام عبد الباسط الأنسى صاحب جريدة الإقبال - طبع بمطبعة الإقبال ببيروت، وهذه الأبيات موجودة كذلك في ديوان تميم بن المعتز.

وهناك مقطوعة أخرى تتكون من بيتين كذلك تنسب لابن وكيع، وقد ذكر أستاذنا الدكتور حسين نصار مصادرها وفيها يقول:

شربت مجاج الكرم تحت ظلاله على وجه معشوق الشمائل أغيد
كأن عناقيد الكروم وظلها كواكب در في سماء زبرجد
ومصادر هذه المقطوعة التي ذكرها أستاذنا الدكتور حسين نصار هي:

أ - مباهج الفكر: الفن الرابع ص ٣٨٦ لكنى وجدتها في ديوان ابن المعتز، ويقول فيها:

شربنا عصير الكرم تحت ظلاله على وجه معشوق الشمائل أغيد
كأن عناقيد الكروم وظلها كواكب در في سماء زبرجد (٢)

وقد أورد أستاذنا الدكتور حسين نصار فيما جمع من شعر ابن وكيع في قافية الدال ص ٤٣: قال الثعالبي في تنمة اليتيمة: أنشدني الشيخ أبو الحسن مسافر بن الحسن أيده الله تعالى قال: أنشدني أبو الحسن محمد بن الحسين

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق ص ١١٦ من الباب الثامن - قافية الدال.

العثماني قال: أنشدنا القاضي ابن البساط البغدادي لابن وكيع التنيسي، وهو
أحسن ما قيل في مدح السفر:

تغرب على اسم الله ولا تمس الغنى وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرج نفس والتماس معيشة وعلم وآداب ورفقة ماجد
فإن قيل في الأسفار ذل وغربة وتشيت شمل وارتكاب شذائد
فللموت خير للفتى من مقامه بدار هوان بين ضد وحاسد
مصادرها تمة اليتيمة ١ - ٣٠

وقد وجدت في ديوان الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم
وجهه قوله:

تغرب عن الأوطان في طلب العلى وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة وعلم وآداب وصبغة ماجد
فإن قيل في الأسفار ذل ومحنة وقطع الفيافي وارتكاب الشذائد
فموت الفتى خير له من قيامه بدار هوان بين واش وحاسد
مطابع دير سات ط ١٣٠٧١ ص ٣٥

أما ترى الليل قد ولت عساكره وأقبل الصبح في جيش له لجب
ووجدت في شعر ابن وكيع بيتاً مكرراً تقريباً وهو عن الخمر يقول فيه:
عروس كرم أنت تختال في حلال صفر على رأسها تاج من الحجب
والبيت الثاني يقول من:

عروس كرم أنت تختال في حلال صفر على رأسها للمزج إكليل

وقال ابن وكيع فى (خمرية):

- ١ - علل فؤادك والدينا أعاليل
 - ٢ - ولا يصدنك عن أمر هممت به
 - ٣ - فخير يوميك يوم أتت فيه إذا
 - ٤ - وإن أتوك فقالوا كن خليفتنا
 - ٥ - فإن ذلك أمر مع نفاسته
 - ٦ - وارض الخمول فلا يحظى بلذته
 - ٧ - ولا تبع عاجل الدنيا بأجل ما
- وأراه متأثراً بقول ابن المعتز:

ألا علانى إنما العيش تعليل
دعانى من الدنيا أذل من نعيمها
وما لحساء بعدها ميتة طول
فإنى عنها بعد ذلك مشغول
فليس لتعويق الحوادث تمثيل^(١)
خذاً لذة من ساعة مستعارة

ونلاحظ هنا أن الموضوع واحد، وهو الدعوة إلى اللهو واللذة والنيل من نعيم الحياة قبل النهاية المحتومة بانقضاء الأجل مع البعد عن أخذ النفس بحياة الجد والطموح السياسى .

ونلاحظ كذلك أن القافية واحدة عند الشاعرين، وهى قافية اللام المضمومة مما يؤكد تأثر ابن وكيع بأستاذه ابن المعتز .

(١) ديوان ابن المعتز - مطبعة الإقبال - بيروت - تحقيق محبى الدين الحيط

حد الخمر: سورتها وجدتها، صفق الخمر: روقها وصفارها

ويبدو تأثيره كذلك بقصيدة كعب بن زهير (البردة) التي قالها بين يدي
رسول الله ﷺ من حيث الوزن، وكذلك بعض الألفاظ
ويقول ابن وكيع:

وكأس مثل عين الديك صرف لها حجب كمنظوم الجمان

ووصف الكأس بعين الديك من حيث صفاء والاستدارة والبريق تشبيه
ورد عن بعض شعراء الجاهلية، وعند أبي نواس وابن المعتز وغيرهما ممن
وصفوا الخمر فهو تشبيه تراثي موجود في ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن
قيس) في قوله:

وكأس كعين الديك باكرت حدها بفتيان صدق والنواقيس تضرب
سلاف كأن الزعفران وعندما يصفق في ناجودها ثم تقطب^(١)

وتناول الحسن بن هانئ تشبيه الكأس بعين الديك فقال:

واشرب سلافًا كعين الديك صافية من كف ساقية كالريم حوراء
وقال:

لا تبرحن فقد كرت قوافرها واشرب عقارًا كعين الديك ندمانى
من سلسبيل إذا ما الماء خالطها فاحت كما فاح تفاح بلبنان
كما ورد تشبيه الكأس بعين الديك عند شعراء آخرين مثل السراج
الوراق في قوله:

كأنى سلبت الديك في الكأس عينه فقام مروعًا من كراه يصيح

(١) العندم: شجر له عروق يصيغ به ناجود الخمر: إناء الخمر الفخارى

قطب الخمر: مزجها الذي تحفظ فيه الخمر وهو الباطية

وقال القيراطى :

قهوة فى الكأس منها ذوب تبر فى لجين
فإذا الديق رآها قال أفديك بعينى

وقال ابن نباته :

وتياه سمحت له بروحى يرى أن السماح من الرياح
تحمّر وجهه الكاسات زهواً ويضحك فى الرياض على الأفاح
إلى قوله :

عشوت لكأسه لا للثريا ونسر الليل خفاق الجناح
كأنى قد سلبت الديق عيناً فثار من المنام إلى الصياح

ونستنتج مما سبق أن ابن وكيه كان متابعاً لأستاذه أبا نواس الذى أخذ
المعنى من سبقوه من الشعراء ولم يكن ابن وكيه وحده فى هذا الشأن لأن
التشبيه مطروق متداول عند غيره من الشعراء السابقين له واللاحقين به .

قال ابن المعتز :

قم يا خليلى إلى اللذات والطرب لا صبر لى عند بنات الكرم والعنب
أما ترى الليل قد ولت عساكره وأقبل الصبح فى جيش له لجب
كأنما كأسنا من قشر لؤلؤة والماء من فضه والراح من ذهب

وقال ابن وكيه متأثراً بهذه الأبيات :

أما ترى الليل قد ولت عساكره وأقبل الصبح فى جيش له لجب
وجد فيأثر الجوزاء يطلبها فى الجور كرض هلال دائم الطلب

كصولجان لجين فى يدى ملك أذناه من كرة صيغت من الذهب
ويبدو تأثر ابن وكيع واضحاً فى هذه المقطوعة .

وقال يزيد بن معاوية متحدثاً عن الخمر :

إذا ما طغا فيها المزاج حسبتها كواكب در فى سماء عقيق
تدب ديب لبرء فى كل مفصل وتكسو وجوه الشرب ثوب شقيق
فقال ابن وكيع :

وصفراء من ماء الكروم كأنها فراق عدو أو لقاء صديق
كأن الحباب المستدير بطوقها كواكب در فى سماء عقيق
صببت عليها الماء حتى تعوضت قميص بهار من قميص شقيق^(١)

ويبدو تأثر ابن وكيع واضحاً فى هذه المقطوعة ، ومن المعلوم لدارسى الأدب العربى أن أبا نواس واحد من زعماء التجديد فى الشعر العربى ، وذلك لأنه جدد فى مطالع أو افتتاحيات القصائد العربية ، وهاجم كل الشعراء العرب الذين تشبثوا بالمطلع الطلى وكذلك الغزلى ، ودعا بكل جهده إلى جعل المطلع فى القصيدة العربية خمرياً ، ولذلك نجده يقول :

يا واصف البيد والفقار ويا واصفًا سرايبها ومكاها
وواصف الربع والرياض وما أشرق من ينعها وبهاها
أحسن من ذلك نعت صافية تنزو إذا ما تدرعت ماها^(٢)

(١) حلبة الكميت ص ١١٣ ط الذخائر ١٩٩٨ م العدد رقم ٢٧ ص ١١٣

(٢) ديوان أبى نواس "الحسن بن هانى" شرح محمود أفندى واصف ط ١ - المطبعة العمومية

بمصر ١٨٩٨ م ص ٢٤٠

وقال كذلك :

أيا باكى الأطلال غيرها البلى بكيت بعين لا يجف لها غرب
أتنعت داراً قد عفت وتغيرت فإنى لما سالت من نعتها حرب^(١)

وقال :

دع الأطلال تسفيها الجنوب وتبلى عهد جدتها الخطوب
وخل لراكب الوجناء أرضاً تحب بها النجيبه والنجيب
بلاد نبتها عشر وطلح وأكثر صيدها ضيع وذيب^(٢)

وقال :

دع الربع ما للربيع فيك نصيب وما إن سبتنى زينب وكعوب^(٣)

وقال :

يا أيها العاذل دع ملحاتي ودع رسوم الدار والآيات
والوصف للموماة والفلاة دراسة وغير دارسات^(٤)

وقال :

قل لمن يبكى على رسم درس واقفًا ما ضر لو كان جلس
تصف الربع وما كان بها مثل سليمى ولبينى وخلص
اترك الربع وسلمى جانبًا واصطبح كرخية مثل القيس^(٥)

(١) المصدر السابق ص ٢٤٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٤٤ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٤٥ .

(٤) المصدر السابق ص ٢٥٣ .

(٥) المصدر السابق ص ٢٩٩ .

وقال:

دع الوقوف على رسم وأطلال ودمنة كسحيق اليمنة البالي^(١)

فتابعه ابن وكيع فى هذه الدعوة، وقال فى حديثه عن الغزل والربيع

والخمر:

ذا العيش لا نعت المهامه والفلا وسؤال رسم الدار والأحجار

لا فرج الرحمن كربة جاهل يبكى على الأطلال والآثار^(٢)

رابعاً: الظرف وأثره على تشبيهات ابن وكيع ومتابعته لأبى نواس:

كان ابن وكيع مغرمًا بمغازلة المناطق المحزورة فى الشعر، التى لا يجب

الاقتراب منها، لأنها تمس الدين مما دفع إلى اتهامه بالانحراف عن دينه،

وتشابه أقواله بأقوال الزنادقة ومنها قوله متغزلاً:

بيت من الحسن لى إليه حج مدى الدهر واعتمار

زيارة البيت كل عام ودهر ذا كله يزار

وقوله:

متصر قويت على إسلامنا بالحسن منه حجة الكفار

قالوا أيصنع مثل هذا ربكم ويرى فساد صنيعه بالنار

فهو فى البيتين الأولين يقارن بين زيارته لمحجوبته وزيارة البيت الحرام،

وفى البيتين التالين يدعى غلبة حجة الكفار على الإسلام بحسن هذه الفتاة

(١) المصدر السابق ص ٣١٥.

(٢) المصدر السابق ص ٢٨٩.

النصرانية، أو هذا الفتى النصرانى على اعتبار أن الذى يصنع شيئاً جميلاً لا يجب إفساده، وهى مغالطة جلية؛ لأن هذا الحجاج قد يصلح مع صناعى البشر، لكنه لا يصلح مع رب البشر وخالقهم لأنه يخلق (بكن) أو الأمر المباشر: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾ (النساء).

ولا نجد من البشر مهما أوتى من العلم أن يقدر العقوبة، لأى جريمة مثلما يقدرها الحق سبحانه وتعالى، فالذين تحدث عنهم ابن وكيع هنا ليسوا أحسن على الخلق من رب الخلائق أجمعين، وقال ابن وكيع:

زمن أغر فلو شريت بطييه طيب الجنان لكان أريح متجر

وفى حديثه عن فصل الشتاء قال:

قبح فصلا فوق ما ذمته لو أنه يظهر لى قتلته

حتى إذا ما هو عنا بانا وزال عنا بعضه لا كانا

وهذا يدخله فيمن يسبون الدهر كأبى تمام القائل:

فلو ذهبت سنات الدهر عنه وألقى عن مناكبه الدثار

لعدل قسمة الأرزاق فينا ولكن دهرنا هذا حمار^(١)

* وقال ابن وكيع:

مزرر شككنى فى دينه حتى أحلت الكفر فيمن قد كفر

لأنه كالحوار فى تصويره والخور لا يسكنها الله سقر

(١) ديوان أبى تمام ط - دار المعارف ج ٢ ص ١٥٤.

فقوله: (أحلت الكفر فيمن قد كفر) أى غيرت اعتقادي فى كفر الكفار.

وقال:

لا تقبلن من الرشيد كلامه
وودع التزهّد والتجمل للورى
وإذا دعاك أخو الغواية فاسمع
فالعيش ليس يطيب للمتورّع

وقال:

ولا تبغ عاجل الدنيا بأجل ما
ترجو فذاك أمر شأنه الطول

إلى قوله:

قم فاسقنى النص مما حرمون ولا
من قهوة عتقت فى دنها حقبا
تعرض لما كثرت فيه الأقاويل
كأنها فى سواد الليل قنديل

وقال:

اشرب فقد طابت المدام
من قهوة حرمت علينا
واقترع عن ثغره الغمام
والصبر عن مثلها حرام

إلى قوله:

فى فتية كلهم كريم
يكسد سوق الفتا فيهم
وخير من يصحب الكرام
ظرفا ولا يكسد الغلام
بكل ما فعله أثم
وصفت من فضلهم إمام
لكنتى فيهم على ما

وقال : من قصيدة فى الربيع مطلعها :

ألست ترى وشى الربيع المنمنما وما رضع الربعى فيه ونظما

وهذه القصيدة ختمها بقوله :

قم فاسقنى النص مما حرموه فما أرى من العيش حلواً غير ما قبل حرما
ويبدو مما سبق أن شاعرنا ابن وكيع كان لا يملك لسانه من الخروج عن
حد الأدب والمساس بحرمة الدين، وهو فى حالة سكر أو سياق ظرف أو
تماجن .

وهو فى ذلك يتبع خطوات أستاذه الحسن بن هانئ الذى قال :

ألم ترنى أبحت اللهو لنفسى ودينى واعتكفت على المعاصى

كأنى لا أعود إلى معاد ولا أخشى هنالك من قصاص

وكذلك قوله مجادلا :

وملحة بالعدل تحسب أننى بالعدل أترك صحبة الشطار

بكرت على تلومنى فأجبتها وأنى لا أعرف صحبة الأبرار

فدعى المكارم فقد أطعت غوايتى وصرفت معرفتى إلى الإنكار

ورأيت إتيانى اللذاذة والهوى وتعجلى عن طيب هذى الدار

أحرى وأحرم من تنظر أجل علمى به رجم من الأخبار

ما جاءنى أحد يخبر أنه فى جنة مذمات أو فى نار

وهناك من مشاهير الشعراء من قال مثل هذا الكلام فى مرحلة يمكن أن
نسميها المراهقة الفكرية، ومن ثم رجع عنه، وهذا كله لا يجب أن نأخذه

على الشاعر مأخذ الجد، فلقد عاش ابن وكيع جل حياته وهو صاحب لهو وزدقته كانت على سبيل التطرف مجارة لروح العصر من جهة وسباق اللهو والتطرف ومجالس الشراب من جهة أخرى، فضلا عن قراءة ابن وكيع لشعر شعراء بالزندقة وسجنوا بسبب تتبع أعدائهم لسقطات ألسنتهم من خلال رواية أشعارهم حتى تصل إلى مسامع الحكام، والخلفاء، وكان على رأس هؤلاء الحسن بن هانئ وحماد عجرد وواليه بن الحباب وبشار بن برد، وقد (ألقى الحسن بن هانئ في سجن الزندقة وهو في العشرين للمرة الأولى فلقى حماد عجرد فقال في وصفه:

كنت أتوهم أن حماد عجرد أنما يرمى بالزندقة لمجونه في شعره فحسب
فتبين أن له متوناً يقرأ منها هو وأصحابه في صلاتهم " ويبدو من الحديث
استنكار أبي نواس ونفوره، حين ظهر له أن زندقة حماد عجرد حقيقة لا
لهو" (١).

وأكبر الظن أن أبا نواس لم يكن يتزندق عن عقيدة، وإنما كان يظهر
الزندقة تطرفاً وليس هو في ذلك نسيج وحده، بل هو مثال من أمثلة كثيرة
العدد تدل على روح العصر وليس أدل على ذلك من قول معاصره ابن منذر
في محمد بن زياد:

يا بن زياد يا أبا جعفر أظهرت ديناً غير ما تخفي
مزندق الظاهر باللفاظ في باطن إسلام فتعف
لست بزنديق ولكنما أردت أن توسم بالظرف (٢)

(١) (أبو نواس قصة حياته) عبد الرحمن صدقي ط، دار الهلال ص ٦٨.

(٢) المرجع السابق ص ٦٨.

ويمكن اعتبار ابن وكيع مثل ابن زياد المذكور، فتى مسلماً عفيفاً، وكل ما فى الأمر أنه أراد أن يوسم بالظرف فادعى الزندقة تظرفاً. ويفهم ذلك من الرجوع إلى تعريف الوشاء حيث تتسم أشعار بن وكيع بخفة روح قارئها يحكم بأنها لشاعر مصرى، ولو لم يكن يعرف أنها لابن وكيع ولذلك نجد ابن وكيع يصف الغلام فى مربيته بقوله:

بخفة الروح احتوى صالحى فصرت لا أرغب فى الفلاح
والشكل والخفة فى الأرواح أملح ما يعشق فى الملاح

ويقول أستاذنا الدكتور حسين نصار عن ابن وكيع: "ويدل شعره على أنه كان على حظ كبير من الظرف وحفة الروح كما يدل إكبابه على الخمر على أنه كان على حظ من اليسار^(١).

يقول أستاذنا الدكتور حسين نصار فى مقدمة كتابه عن ابن وكيع: "من أجمل المناظر دلالة على خفة روح شاعرنا وظرفه الدعوتان اللتان أنزلهما على حبيبة، والأقسام الثلاثة التى حلف فيها به، فالدعوة الأولى كان سببها ما يظهره الحبيب من مغالطة، إذ يدعى عدم سماعة بمرضه ويقسم على ذلك، فيدعو عليه ولكن بالرحمة، ويقول ابن وكيع:

فهم غالط منى فهما جاءنى يسال عما علما
مقسم ما بلغته علتى كاذب والله فيما زعما
كيف لم يبلغه عنى سقمى وهو المهدي إلى السقما
رزق المظلوم منا رحمة ثم لا أدعو على من ظلما

(١) ابن وكيع التيسى شاعر الزهر والخمر ص ٣٥.

أما الدعوة الثانية، فالظف وأظرف يقول فيها:

إن كنت تعلم ما بي وأنت لست تبسالى
فصصار قلبك قلبى وصرت فى مثل حالى
بل عشت فى طيب عيش تقيك نفسى ومسالى

فهو يدعو إن كان يعلم ما أحل به ولا يأبه لذلك أن يصير قلبه عاقاً
مثل قلبه، ثم يتغلب عليه حبه، فيتمنى له العيش الطيب تفديه نفسه وماله

أما الأقسام الثلاثة التى حلف فيها به وبمحاسنه فيقول فيها:

لا ووجه لك يبدى صفحة السيف الصقيل
وسواد الشعر الأس حود فى الخد الأسيل
وعيون لك لا تط رف إلا عن قستيل
ما جميل الصبر عن مث لك عندى بجميل

فهذه الأقسام الثلاثة لون جديد طريف من الأقسام يتسم بالعدوية
والخلاوة والظرف وله قسم آخر أكثر ظرفاً وطرافة يقول فيه:

لا ووعد الوصل باللح ظ على رغم الرقيب
واختلاس القبلة الحد حوة من خد الحبيب
وسمماع مستطاب جاء فى لفظ مصيب
ما سوى الراح لداء ال هم عندى من طبيب

ومنها منظران ضاحكان مع عدول ينهاه عن الحب، ثم يرى الحبيب ولم
يكن يعرفه فى أمره بحب مثله، أو يسأله عنه، فيعرفه أنه من يحبه، فيعتذر

له ويدرك أنه جدير بالحب وهي:

من غلاميات ابن وكيع ويقول فيها:

أبصره عاذلى عليه ولم يكن قسبيل ذا رآه
فقال لى لو هويت هذا ما لامك الناس فى هواه
قل لى إلى من عدلت عنه فليس أهل الهوى سواه؟
فظل من حيث ليس يدرى يأمر بالحب من نهاه؟

والمنظر الثانى يقول فيه ابن وكيع:

أقبل والعدال يلحوننى فكلهم قال من البدر
فقلت ذا من طال فى حبه منكم لى التعنيف والزجر
قالوا جهلنا فاغترق جهلنا فليس عن ذا لامرئ صبر
عذرك فى الحب له واضح وما لنا فى لومنا عذر

وهناك منظر للحبيب وقد زاره المرض فازداد جناله حتى إن الأصحاء
يتمنون أن يصيبهم ما أصابه من مرض ليزداد جمالهم فيقول له:

لو كان كل عليل يزداد مثلك حسنا
لكان كل صحيح يود لو كان مسضى
يا أكمل الناس حسنا صل أكمل النس حزنا
غنيت عنى ومالى وجوه به عنك أغنى

ومنظر آخر لقبه ألد من الصبوح فى يوم تكاثف غمامه وألد من مر
النسيم على المخمور اختلسهما من الحبيب فيقول فيها:

ظفرت بقبلة منك اختلاساً وكنت من الرقيب على حذار
ألد من الصبوح على غمام ومن برد النسيم على خمار
ومنظر آخر: يصوره وهو شامت بقبله الذى ينهاه عن الحب فلم يزدجر
إلى أن وقع فى الحب الذى أوصله للمذلة فيقول:

لقد شمت بقلبي لا فرج الله عنه
كم لمتسه فى هواه فسقال لا بد منه

ويستحلف ابن وكيع محبوبه ملتصماً منه الصفح عن ذنوبه، وإن عاقب
فليعاقب بغير هجر لأنه لا يحتلمه، فاستحلفه بما فى عينه من فتور سحر
وبعداره الذى خلع عذاره وبشغره المبتسم عن ثنياه اللؤلؤية ذات الرضاب
الخمري، فيقول فى ذلك:

بما بعينيك من فتون ومن فتور بها وسحر
وبالعذار الذى تولى خلع عذارى وبسط عذرى
ومضحك منك لؤلؤى ممتزج مسكه بخمر
جد لى بالصفح عن ذنوبى أو لا فعاقب بغير هجر

ويبين الشاعر أن عينه هى التى أوقعت فؤاده فى الحب، وأن هذا قدره
الذى لا مفر منه وهو بذلك فى ظلام حاله وقد هجر كل من سواه، برغم
أنه لا ينال منه شيئاً فلا زال حبيبه مصراً على بخله مستغنياً عنه، وهو لا
يستطيع الاستغناء عنه وهو بذلك أكمل الناس حزناً، يضحك للأعداء
وضميره يبكى وقد أهزله كل ذلك حتى صار غير من مرئى حتى لو جاءه
الموت فلن يراه، فيقول ابن وكيع:

قد رضينا من الغزال الكحيل بغير العادات والتعليل
وهجرنا سواه وهو منيل وهو يناه وهو غير منيل
فكثير البغيض غير كثير وقليل الحبيب غير قليل
كل من سره حبيب جواد فلتطب نفسه بقرن طويل

وهو برغم كل ذلك يتلذذ بهذا العذاب ويطلب من الحبيب أن يزيد منه
أن كان ويجد فيه راحة .

ومن كتاب غرائب التنبهات على عجائب التشبيهات لعلى بن ظافر
الأزدى المصرى :

ورد قول ابن وكيع فى أكلة سمك يسمى سمك الراى وهو من أسماك
النيل المعروفة حتى اليوم :

بدالنا الراى الذى تلذ عيني منظره
فى قمص فضية أذياها معصفرة
عوضه القالى بها غلائلا مزعفره
وافى به فمما رأته ه العين حتى لم تره^(١)

فكل هذه المقطوعات تتسم بالخفة والظرف واللفظ وتتجلى فيها روح
الشاعر المرحه التى تؤكد مصريته ، وأنه جزء من نسيج البيئه المصرية .

(١) غرائب التنبهات على عجائب التشبيهات لعلى بن ظافر الأزدى المصرى . دار المعارف